الغربة سلبيات وإيجابيات!

(الغربة ليست إيجابيات محضة كما أنها ليست سلبيات محضة ، بل عوانٌ بين ذلك!)

ديوان: (السليمانيات)

شعر / أحمد علي سليمان عبد الرحيم

(شاعر أهل الصعيد)

جميع الحقوق محفوظة

أشواق الغربة

(اغترب عن أهله وعشيرته وأصدقائه ورفقاء دربه! وعانى آلام الغربة ومآسيها ككل غريب! ولكن الأشواق الهائجة لرؤية الأحباب كانت له بالمرصاد! فراح يتذكر عطير أحاديثهم وعذب كلامهم وجميل مواقفهم وسالف أيامهم! كما راح يتذكر صلة الأرحام وقيام الليل وصيام النافلة وقراءة القرآن ومُدارسة العلم! كما راح يتذكر السواقي وهي تروي الحقول ، والطيور على أغصان الأشجار وفي جو السماء ، والشمس وهي تشرق على دياره ، والقمر وهو ينير ليل هاتيك الديار! وقارن حياته الماضية بحياة الغربة! فكيف يعيش ومن يُعد له طعامه ومن يُسليه ومن يُصَبره ومن يُعينه على غربته ومن يُرتب له متاعه وغرفته؟ لقد كان ملِكاً في دياره ، ثم صار عبداً في غربته! فلم ينقم على الغربة! كما لم يتسخط عليها! ولم يصب جام غضبه عليها وعلى من كان سبباً فيها! بل وصف الأشواق الحلوة والحنين العذب!)

لـــــيس شـــــيءٌ عانيتُـــــه كـــــاغترابي ... عـــــن ديـــــار متـــــى إليهـــــا إيـــــابي؟

هزنـــــي الشـــــوقُ للـــــديار طـــــويلاً ... فانتحبـــــتُ هـــــل منصـــــتٌ لانتحـــــابي؟

هـــــل تُســـــاوي الأمـــــوال بســـــمة طفلـــــي؟ ... قـــــد حُرمـــــتُ منهـــــا ، وطـــــال غيـــــابي!

مـــــا الحيـــــاة إن أصـــــبح البُعـــــدُ جبـــــراً؟ ... هـــــل يحـــــن البُعـــــدُ علـــــى الأغـــــراب؟

هـــــل حُلـــــولٌ إن هـــــاج شـــــوقُ غريـــــبٌ ... أو طوتْـــــه لـــــواعجُ الأوصـــــاب؟

نصـــــفُ هـــــذا الغريـــــب يحيـــــا بـــــأرض ... وبـــــأخرى نصـــــفٌ ينـــــي باضـــــطراب

أســـــرة تنعـــــى عـــــائلاً فـــــي فـــــلاةٍ ... هـــــل حيـــــاة فـــــي بُقعـــــةٍ مِجـــــداب؟

مَـــــن يُعـــــد طعـــــامَ أشـــــقى غريـــــب ... لا يُلاقـــــى فـــــي النفـــــي بالترحـــــاب؟

مَـــــن يُـــــداوي جراحَـــــه ثاعبـــــاتٍ ... دمَ مظلـــــوم خـــــاض أشـــــقى مصـــــاب؟

مَـــــن يُجفـــــفُ الـــــدمعَ فـــــي عـــــين فـــــردٍ ... ســـــال مِغـــــزاراً منـــــه فـــــي المحـــــراب؟

مَـــــن يُعزيـــــه إن دهتْـــــه المنايـــــا ... طارقـــــاً بالبشـــــرى علـــــى الأبـــــواب؟

مَـــــن يُســـــلي الغريـــــب إن مَـــــلّ عيشـــــاً؟ ... مَـــــن يُهـــــدّي تـــــوترَ الأعصـــــاب؟

مَـــــن يُزيـــــلُ عنـــــه اكتئابـــــاً مريـــــراً ... حيـــــث طمـــــتْ مـــــرارة الإكتئـــــاب؟

مَـــــن يـــــرد أهـــــلاً ودراراً وصِـــــيتاً ... وأناســـــاً مِـــــن خيـــــرة الأصـــــحاب؟

إننـــــي فـــــي شـــــوق كبيـــــر إلـــــيهم ... مثـــــلِ شـــــوقي للأهـــــل والأحبـــــاب

لـــيس يـــدري بالشـــوق مثـــلُ غريـــب ... كـــم يُعـــاني فواجـــعَ الإغتـــراب!

وحنينـــي أهـــاج فـــيّ اشـــتياقي ... لخـــلال أتيتُهـــا فـــي شـــبابي

مثـــل وصـــل الأرحـــام دون انقطـــاع ... ثـــم عنـــد المليـــك كـــان احتســـابي

وصـــلاة بالليـــل تُشـــجي حيـــاتي ... قطعـــتْ مُـــذ ســـافرتُ للأعـــراب!

صـــورة الماضـــي لـــم تُفـــارق خيـــالي ... رغـــم بُعـــدٍ يُقـــاسُ بالأحقـــاب

والســـواقي تـــروي الحقـــولَ ، وتســـبي ... لـــب راوٍ ، فمـــا لـــه مِـــن صـــواب!

والطيـــورُ فـــوق الغصـــون تُغنـــي ... شقشـــقاتٍ فـــي غايـــة الإطـــراب

والشـــروقُ يـــدب فـــوق الروابـــي ... قاشـــعاً مـــا فـــوق الربـــا مِـــن ضـــباب

وأنـــا مُشـــتاقٌ لماضـــي حيـــاتي ... مُســـتعيداً للـــذكريات العِـــذاب

واغترابـــي يحـــولُ دون اشـــتياقي ... إنـــه فـــي التهـــوين لـــيس يُحـــابي

مـــا أبيـــتُ فيـــهِ عليـــه اصـــطباحي ... قـــد مللـــتُ وَتيرتـــي وانتيـــابي!

وبقايـــا الطعـــام فـــي كـــل صـــحن ... وهنـــا فـــوق مشـــجبي جلبـــابي

لا جديـــداً فـــي العـــيش يُســـعدُ نفســـي ... غيـــرُ مَيلـــي إلـــى الـــدعا المســـتجاب

رب خفـــفْ مَـــواجعي فـــي اغترابـــي ... رب منـــك أجـــزلْ عظـــيمَ الثـــواب

رب وارزقنـــي فـــي اغترابـــي ، ووفـــقْ! ... مَـــن ســـأدعو فـــي ذا ســـوى الوهـــاب؟!

دروسٌ من الغربة

(اغترب عن دياره ذلك الحكيمُ الكيّسُ العاقل ، واستطاع أن ينتفع بدروس غربته المعنوية أضعافَ ما حصل فيها من المكاسب المادية! وكان يرى بأن دروس غربته كانت أجدى وأنفع من أموالها! فالأموال تفنى وينتفع بها صاحبها ومن يعول ، ولكن الدروس تبقى أبد الآبدين ودهر الداهرين! وينتفع بها أجيالٌ وأجيال! ولا يمكنُ أبداً المقارنة بين المال والعلم ، وإن كانا معاً عصب الحياة! لكن يظل العلم أعظم!)

كـــــل غريـــــب ولـــــه دُربـــــة ... منحتْهـــــا إيـــــاه الغربـــــة

وأنـــــا الغربـــــة كـــــم قهرتنـــــي! ... كـــــم طعنـــــتْ قلبـــــي بالحربـــــة!

وســـــقتْني علقمَهـــــا دهـــــراً ... سَـــــنتي فيهـــــا كانـــــت حِقبـــــة

فتعلمـــــتُ دروســـــاً شـــــتى ... زادتْنـــــي فـــــي العيشـــــة دُربـــــة

أولهـــــا نِيتُـــــك اعقـــــدْها ... واجعـــــلْ سَـــــفرَك فيهـــــا حِســـــبة

ثانيهـــــا لا تصـــــحبْ نـــــذلاً ... بالأنـــــذال تســـــوءُ الصـــــحبة

يهـــــوى النـــــذل الأخـــــذ مـــــراراً ... مـــــالاً أو أكْـــــلاً أو شُـــــربة

لا يعطـــــي مَـــــن جـــــاد عليـــــهِ ... يحيـــــا دُونـــــاً ، يـــــا للسُـــــبة!

ويـــــرى الجـــــودَ عليـــــه لِزامـــــاً ... وإذا جـــــاد فهـــــذي خيبـــــة

ثالثهـــــا سِـــــرّك لا تنشـــــرْ ... بـــــين النـــــاس ، فبـــــئس العَيبـــــة!

لـــــولا إفشـــــاؤك مـــــا علمـــــوا! ... وإذا علمـــــوا كانـــــت نكبـــــة

رابعهـــــا مالـــــك لا تُهـــــدِرْ ... لأمـــــورك رُزءٌ ومَغبـــــة!

والمـــــال فمســـــؤولٌ عنـــــهُ ... ضـــــمنَ الأربـــــع ، هـــــذي صـــــعبة!

خامســـــها دينَـــــك لا تُهمـــــلْ! ... أنـــــت بـــــدينك أســـــمى رُتبـــــة

سادســـــها جانـــــبْ معصـــــية ... إن أخطـــــأت فأحـــــدثْ توبـــــة

والله ســـــيقبلُ مَـــــن تـــــابوا ... إن رغبـــــوا فـــــي التوبـــــة رغبـــــة

ســـــابعها للغيـــــر فأحســـــنْ! ... لهـــــمُ اجعـــــلْ مِـــــن مالـــــك نســـــبة

دنيـــــاك ســـــتذبلُ زهرتُهـــــا ... وســـــتُجْدِبُ مَرعاهـــــا الخصـــــبة

لا ألقـــــــاك بهـــــــا مُرتزقـــــــاً ترتـــــعُ فـــــي ســـــاحتها الرحبـــــة

أتعـــــــيشُ أنانيـــــــاً نـــــــذلاً؟ فشـــــــبيبتك مضـــــــتْ والشـــــــيبة

ثامنهـــــــا حـــــــاذرْ مِـــــــن نفـــــــر رشـــــــفوا الـــــــذل مياهـــــــاً عذبـــــــة

لا تُكـــــــــرمْهم أبـــــــــداً أبـــــــــداً! هـــــــم بالذلـــــــة أشـــــــقى عُصـــــــبة

تاســـــــــعها لا تقبـــــــــلْ ضَـــــــــيماً مهمـــــــا عشـــــــت ظروفـــــــاً عطبـــــــة

عاشـــــــــرها وأخيـــــــــراً قصّـــــــــرْ آمالـــــــــك ، لا تـــــــــنسَ التُربـــــــــة!

بعـــــــد المـــــــوت ســـــــتغدو ذكـــــــرى أخلـــــــدْ ذكـــــــرَك بعـــــــد الغيبـــــــة!

عذابات الغربة

(ابتُليَ في غربته بالأنذال الذين كان هو سبباً في سعادتهم وكانوا هم سبباً في إشقائه! ذلك أنهم اعتادوا على الأخذ فقط ، فليس في قاموس حياتهم لفظ العطاء ولا مشتقاته! وكان هذا الغريب بطل قصيدتنا قد أعطاهم بغير حساب ، مدخراً ذلك كله عند الله تعالى أولاً وآخراً! ثم كان الرجل يتعشم ردهم للجميل على عادة النشامى ذوي الفضل الذين لا يقبلون التفضل عليهم! وإن هم قبلوه في مرحلة كانوا فيها غير قادرين على العطاء ، فإنهم يردون الجميل والتحية بأعظم وأكثر وأجمل! ولكن أنذال قصيدتنا نسوا أو تناسوا ، أو جهلوا أو تجاهلوا ، أن العطاء عطاءان: (عطاء الاستغناء وعطاء المقايضة)! فعطاء الاستغناء هو عطاء الأغنياء الموسرين من أهل الفضل الذين لا ينتظرون أبداً ردّ جميلهم! ولو رُدّ عليهم بمثله أو أكثر منه كانت سُبة وإهانة لهم! وإنما تكفي كلمات الثناء والشكر! وأما عطاء المقايضة فعطاء الفقراء الذين رغم خصاصتهم يؤثرون غيرهم على أنفسهم ، ويحْملون من يعطونه اليوم ليَحملهم غداً! وكان عطاء غريب قصيدتنا من هذا النوع! أعطى على أمل أن يُحمل ويُرد جميله ، فلم يتم له ذلك رغم ضيق ذات يده وغنى الأنذال! ولما أنكر عليهم اتهموه بالمن والأذي! فقال: بل هذا حقي عليكم أيها الأنذال! فكانت غربته عذاباً في عذاب! فتخيلتُه يصف غربته بعذاباتها وأنذالها ومحنها وبلائها!)

يـــا لضِـــيقي بـــاغتراب مُســـتطيرِ! يـــا تُـــرى هـــل مَهـــربٌ مِـــن ذا المصـــيرِ؟

نفْـــعُ غيـــري كـــان سَـــمتي واجتهـــادي فـــي ديـــار لـــيس فيهـــا مِـــن مجيـــر

كـــم مَـــددتُ كـــف جـــودٍ لا أبـــالي مثـــلَ كُـــل فاقـــدِ الـــوعي غريـــر!

كـــم فتحـــتُ الـــدارَ تُـــؤوي مَـــن ألاقـــي مِـــن قريـــب أو بعيـــدٍ مُســـتجير!

كـــم بـــذلتُ المـــالَ لـــم أحســـبْ حســـابي أن يُـــذرّى بالصـــفا بعـــد الـــدبور!

كـــم تحملـــتُ الأذى سِـــراً وجهـــراً مِـــن وضـــيع خامـــل الـــذكر حقيـــر!

كـــم تكلفـــتُ الـــذي فـــوق احتمـــالي حيـــث إنـــي جاهـــلٌ بعـــض الأمـــور!

واســـتدنتُ لأوفـــيْ دَيـــنَ غيـــري وديـــونُ الغيـــر أودتْ بالخســـير

ثـــم ضـــم الكـــل مِـــن حـــولي انفضـــاضٌ ولـــدى الكـــل انمحـــى معنـــى الضـــمير

هـــل يُرَجّـــى الخيـــرُ مِـــن نـــذل خســـيس كـــان بـــالأمس لـــه حـــال الفقيـــر

كـــان يُبـــدي لوعـــة الحرمـــان تســـبي قلـــب إنســـان تقـــي ذي شـــعور

ويســـوقُ اللفـــظ تلـــو اللفـــظ رَطبـــاً يســـلبُ التفكيـــرَ مِـــن عقـــل البصـــير

ثـــم لمّـــا خصـــه المـــولى بـــرزق وبـــأموال وتمكـــين ودور

غـــره المـــالُ فغـــالى فـــي التجنـــي ... وانبـــرى يُصـــغي لوســـواس الغـــرور

وزنَ النـــــاسَ بـــــأموال وطِـــــين ... مثلمـــا قـــارونُ فـــي خـــالي العصـــور

فهـــل الأمـــوالُ أغنـــت عنـــه شـــيئاً؟ ... هـــل وقـــاه المـــالُ زلاتِ الشـــرور؟

جعـــــل الخـــــذلانَ رداً لجميـــــل ... إنمـــا الخـــذلانُ مِـــن طبـــع الغـــدور

كفـــــرَ النعمـــــة مـــــا ردّ حقوقـــــاً ... هـــل خيـــورٌ نرتجيهـــا مِـــن كفـــور؟

وامـــــتلاءُ النعـــــل تِبـــــراً أو عقيقـــــاً ... هـــل بـــه يغـــدو كمصـــباح مُنيـــر؟

لا ، وربـــي لـــم يـــزلْ نعـــلاً حقيـــراً ... مـــا لـــه شـــأنٌ سِـــوى عنـــد الحميـــر!

هكـــذا الغربـــة عـــرّتْ كـــل نـــذل ... وأصـــيل ، مـــا لهـــا أي ســـتور!

طعمتـــي فـــي غربتـــي ذكـــري وشـــعري ... وطعـــامُ النـــذل بعضـــاً مـــن شـــعير

بيننـــا فـــرقٌ ، ولســـنا نتلاقـــى ... صـــاح هـــل أبصـــرت بـــالفرق الكبيـــر؟!

فوائد الغربة

(اغترب عن وطنه ، واستطاع أن يستلهم الفوائد العجيبة من غربته! ورأى من مشربيته غربته جمة الفوائد عظيمة المنافع! واستطاع أن يستفيد من تجارب غربته في معرفة الناس وأمور الحياة!)

غريبُ الدار تصقله البلايا ... وتُكْسبُه تجاربَه الرزايا

ويُصبحُ بالتغرب عبقرياً ... ويمنحُنا المواعظ والوصايا

ففائدة سياحتُنا بأرض ... لنعرف ما تمر به البرايا

فإن سِحْنا تعلمْنا علوماً ... بدون السِيح كانت كالخفايا

وثانية يُلقننا دروساً ... وتلقينُ الدروس من الهدايا

وثالثة يُروّضُ كل نفس ... على التصبير تطلبُه المنايا

ورابعة يُؤقلمُ كل عزم ... لكي يرقى ، فلا يأتي الدنايا

وخامسة يُنقي كل فكر ... يُراوحُ في الضمير وفي الحنايا

وسادسة يُسلي مَن يُعاني ... مِن الأحداث تعمرُها البلايا

فإن سلّى يُسرّي عن كئيب ... تُناولُه كآبتُه الشظايا

وسابعة يُضِيف لنا جديداً ... مِن الأخبار شاعت والقضايا

وثامنة يُعوّضُنا بقوم ... عن الأقوام قد كانوا الرعايا

ويكفي أن يُعرفنا (النشامى) ... لنصحبهم ، ويُعْلمنا الخزايا

وتاسعة يُبلغنا الأماني ... وكانت قبلُ تسكنُ في النوايا

وعاشرة يُذكّرنا بأخرى ... فلا نغدو لدنيانا ضحايا!

غريب الدار غربته منارٌ ... يعرفه المناقب والسجايا

ويرشده إلى درب المعالي ... وإن لزومه أحلى المزايا

شَرقتُ بغربتي ومَللتُ منها ... وكم عن غربتي ذِعتُ الحكايا

وكنتُ أظنها جرحتْ فؤادي ... وعن غصّاتها قلتُ الروايا

وكنـــــتُ أظنهـــــا هضـــــمتْ حقـــــوقي ... فـــــأكثرتُ التهـــــاجيَ والشـــــكايا

ولا ، والله مـــــــا أنصـــــــفتُ لكـــــــن ... جهـــرتُ عـــن اغترابـــي بالخطايـــا

وإنـــــــي الآن أعلنهـــــا صُـــــراحاً ... وأظهـــر مـــا كتمـــتُ مـــن الخبايـــا

ألا إن اغترابـــــــي بـــــابُ خيـــــر ... لـــــه منـــــي المـــــودة والتحايـــــا

وأذكـــــرُ غربتـــــي بجميـــــل فعـــــل ... ولا أبقـــــي مِـــــن الـــــذكرى بقايـــــا

وأعطيهـــــا مِـــــن الأشـــــعار قِســـــطاً ... وتلـــــك قصـــــيدتي أســـــمى العطايـــــا

رأيتُـــــكِ غربتـــــي أحلـــــى عـــــروس ... تـــــدِلّ بحُســـــنها بـــــين الصـــــبايا

وأنـــــــتِ وليـــــــة لا يشـــــــتهيها ... ســـــوى مَـــــن قـــــد درى قـــــدر الصـــــبايا

ضـــــحية جهلـــــه مَـــــن يزدريهـــــا ... وكـــــم للجهـــــل يـــــا كـــــم مِـــــن ضـــــحايا!

ختـــــامُ قصـــــيدتي مـــــدحُ اغترابـــــي ... جـــــزاه الخيـــــرَ خـــــلاقُ البرايـــــا!

مِن سلبيات الغربة

(اغتربَ هذا العفيفُ الشريفُ ، فلما عاد إلى دياره بعد عقود ، وجدَ نفسه على هامش الحياة لا يعرف أحداً ولا يعرفه أحد! فلا الناس بالذين يعرف ، ولا الأرض بالتي يعرف! فعانى غربة في دياره أشد وأعتى وأنكى من الغربة التي عاناها في مُغتربه! فأدرك من سلبيات الغربة ما لا يُدركُه سواه!)

عجبـــتُ ، ورجّ فـــؤادي العجـــبْ ... فيـــا ليـــت أنـــيَ لـــم أغتـــربْ!

عقـــودي الثلاثـــة فـــي غربتـــي ... دهـــتْ عزمتـــي بـــالأذي والنصـــب

وذقـــتُ الأمَـــرّين مِـــن صُـــحبتي ... فيـــا ليتنـــي العِيـــرَ لـــم أصـــطحب

وجَرّعنـــي الضـــنكَ مِـــن بعـــدهم ... أنـــاسٌ لئـــامٌ لهـــم أنتســـب

وفتشـــتُ فـــي القـــوم عـــن مُحســـن ... يُزيـــلُ عـــن القلـــب هـــذي الكُـــرب

ويحمـــلُ عنـــي همومـــاً طغـــتْ ... ويرفـــعُ عـــن كـــاهليّ الـــوَدَب

ويســـتغرقُ الوقـــت فـــي خِـــدمتي ... وعنـــد المليـــك الجـــزا يحتســـب

وجُـــرحُ القرابـــة مُستأصِـــلٌ ... ويعصـــمُ منـــه الهُـــدى والأدب!

وأهْـــوَن منـــه جـــراحُ العِـــدا ... وإن بقيـــتْ فتـــرة تلتهـــب!

فلـــم ألـــق فـــي غربتـــي مُحســـناً ... فواجهـــتُ وحـــدي صُـــنوفَ النـــوب

وطالـــتْ علـــيّ سِـــنيّ الـــبلا ... كـــأني بهـــا أصـــبحتْ كالحقـــب

ودرّسْـــتُ قومـــاً فمـــا عُلّمـــوا ... وفـــيهم خطبـــتُ مُبـــينَ الخطـــب!

فهـــل كنـــتُ أنفـــخ فـــي قِربـــة ... وقـــد مُزقـــتْ مثـــلَ بـــاقي القِـــرب؟

وصـــاحبتُ قومـــاً ، ولـــم يُخلصـــوا! ... وصُـــحبة أهـــل الوفـــا تُطلـــب

ولكـــنْ شَـــرقتُ بمجموعـــةٍ ... إذا رُمـــتَ خُلـــتهم تُنتهَـــب

وإنْ رُمـــتَ إصـــلاحَهم أفســـدوا ... وإن رُمـــتَ إســـعادَهم تكتئـــب

يمينـــاً تألمـــتُ فـــي غربتـــي ... وعيشـــي بآلامهـــا يختضـــب

وربيـــتُ جـــيلاً ، فهـــل برّنـــي؟ ... أم انســـاقَ يصـــنعُ مـــا لا يجـــب؟

فلمـــــا رجعـــــتُ إلـــــى قريتـــــي وجـــدتُ الحيـــاة بهـــا تضـــطرب

علـــــى هـــــامش العـــــيش ألفيتنـــــي وأغلـــبُ صَـــحبي بجـــوف الثُـــرَب!

علـــــيهم مِـــــن الله رضـــــوانُه بمـــا قـــدّموا مِـــن عظـــيم القُـــرَب

وأهـــــل الشِـــمات بـــــدا ســـــعدُهم وجـــاؤوا علـــيّ كجـــيش لجـــب

وأمســـــيتُ أجتـــــرّ خطبـــــاً عتـــــى وللخطـــب كـــان علـــيّ الغلـــب

فخـــــارج داري طغـــــتْ غربتـــــي وقاســـيتُ قهـــراً علـــيّ كُتِـــب

وداخـــــل داري قضـــــتْ غربتـــــي علـــيّ بـــأن أصـــبح المغتـــرب

وهـــل بـــين أهـــل تُـــرى غربـــة ومِـــن ذاك أعجـــب كـــل العجـــب!

فيـــا رب خفـــفْ لظـــى غربتـــي لـــديك إلهـــي جميـــعُ الحِسَـــب

وطني أحلى من الغربة

(اغترب ذلك البائس ، وكان ينتوي تحقيق الكثير في دار غربته مما لم يستطع تحقيقه في دار إقامته! ولكنه لما خذله الأقربون والأبعدون وتخلى عنه الأصدقاء والرفقاء ، اختار العودة إلى وطنه ورآه أفضل بكثير من الغربة! وراح ينصحنا ألا نبرح أوطاننا ، بل نجتهد فيها ونكد ونكدح ، راضين بما قسم الله لنا!)

يقولـــــون: أفلـــــحَ لمّـــــا اغتـــــربْ ... وهـــــذا وربـــــي مثـــــارُ العجـــــبْ!

تغربـــــتُ أبحـــــثُ عـــــن عِيشـــــةٍ ... أحقـــــقُ فيهـــــا الـــــذي أســـــتحب

وأعـــــددتُ نفســـــي ، وأقلمتُهـــــا ... علـــــى أن أواجـــــه مـــــا لا أحـــــب

وفـــــي غربتـــــي كـــــم شـــــربتُ الأســـــى ... وذقـــــتُ مِـــــن النـــــاس أعتـــــى الكُـــــرب!

وجرّعنـــــي الـــــذل أهـــــلُ الحِمـــــى ... لأنـــــي بـــــدارهمُ مغتـــــرب

فـــــلا أهـــــلَ لـــــي فـــــي ديـــــار الشـــــقا ... ولســـــتُ لســـــكانها أنتســـــب

ولـــــم يعبـــــأوا بربـــــاط التقـــــى ... ولـــــم يقـــــدُروا نِســـــبتي للعـــــرب!

وصـــــحبي تخلـــــوا ، وبـــــاعوا الإخـــــا ... وأصـــــبحتُ فـــــي العـــــيش لا أرتغِـــــب

وكنـــــتُ اجتهـــــدتُ لأعمـــــل كـــــي ... أجنـــــب نفســـــي عـــــذابَ الطلـــــب

عزيـــــز علـــــى الـــــنفس أن تشـــــتكي ... لمـــــن إن تُطالبـــــه لـــــم يســـــتجب

ولـــــم أشـــــتغلْ ، فـــــاحتواني الأذى ... وكـــــان لمـــــن يشـــــمتون الغلـــــب

فعـــــدتُ لـــــداري ، ولـــــم أكتـــــرثْ ... بمـــــا حـــــلّ بـــــي مِـــــن عســـــير النـــــوب

إذا رُمـــــت عيشـــــاً وفيـــــر الرخـــــا ... فـــــلا تهجـــــر الـــــدارَ أو تغتـــــرب

ورزقـــــك والعمـــــرُ قـــــد حُـــــدّدا ... فـــــلا تبتـــــئسْ قـــــط أو تكتئـــــب

وســـــعيُك فـــــي الـــــدار أو غيرهـــــا ... ســـــواءٌ ، فـــــدع عنـــــك كـــــل الرِّيَـــــب

ولـــــيس عليـــــك ســـــوى الســـــعي هـــــل ... ســـــمعتَ بمـــــال أتـــــى باللعـــــب؟

فتنة الغربة!

(اغترب كثيرون عن بلادهم في طلب العلم ، أو في طلب المال ، أو في سبيل الزواج ، أو في سبيل هذه الأشياء مجتمعة! والنية عند الله! لأنه سبحانه هو الذي يعلمها ويكافئ عليها وعلى العمل المنشود من ورائها! وصدق الله تعالى إذ يقول: (ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة). وصدق رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إذ يقول: (إنما الأعمال بالنيات ، وإن لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه)! رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما ، جاء في (إسلام ويب) تعليقاً على هذا الحديث ما نصه: (لقد نال هذا الحديث النصيب الأوفر من اهتمام علماء الحديث ؛ وذلك لاشتماله على قواعد عظيمةٍ من قواعد الدين ، حتى إن بعض العلماء جعل مدار الدين على حديثين: هذا الحديث ، بالإضافة إلى حديث عائشة رضي الله عنها: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) ؛ ووجه ذلك: أن الحديث السابق ميزان للأعمال الظاهرة ، وحديث الباب ميزان للأعمال الباطنة. والنيّة في اللغة: هي القصد والإرادة ، فيتبيّن من ذلك أن النيّة من أعمال القلوب ، فلا يُشرع النطق بها ؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يتلفظ بالنية في العبادة ، أما قول الحاج: "لبيك اللهم حجًّا" فليس نطقاً بالنية ، لكنه إشعارٌ بالدخول في النسك ، بمعنى أن التلبية في الحج بمنـزلة التكبير في الصلاة ، ومما يدل على ذلك أنه لو حج ولم يتلفّظ بذلك صح حجه عند جمهور أهل العلم. وللنية فائدتان: أولاً: تمييز العبادات عن بعضها ، وذلك كتمييز الصدقة عن قضاء الدين ، وصيام النافلة عن صيام الفريضة ، ثانياً: تمييز العبادات عن العادات ، فمثلاً: قد يغتسل الرجل ويقصد به غسل الجنابة ، فيكون هذا الغسل عبادةً يُثاب عليها العبد ، أما إذا اغتسل وأراد به التبرد من الحرّ ، فهنا يكون الغسل عادة ، فلا يُثاب عليه ، ولذلك استنبط العلماء من هذا الحديث قاعدة مهمة وهي قولهم: "الأمور بمقاصدها" ، وهذه القاعدة تدخل في جميع أبواب الفقه. وفي صدر هذا الحديث ابتدأ النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: (إنما الأعمال بالنيات) ، أي : أنه ما من عمل إلا وله نية ، فالإنسان المكلف لا يمكنه أن يعمل عملاً باختياره ، ويكون هذا العمل من غير نيّة ، ومن خلال ما سبق يمكننا أن نرد على أولئك الذين ابتلاهم الله بالوسواس فيكررون العمل عدة مرات ويوهمهم الشيطان أنهم لم ينووا شيئاً ، فنطمئنهم أنه لا يمكن أن يقع منهم عمل باختيارهم من غير نيّة ، ما داموا مكلفين غير مجبرين على فعلهم. ويستفاد من قوله صلى الله عليه وسلم: (وإنما لكل امريء ما نوى) وجوب الإخلاص لله تعالى في جميع الأعمال ؛ لأنه أخبر أنه لا يخلُصُ للعبد من عمله إلا ما نوى ، فإن نوى في عمله اللهَ والدار الآخرة ، كتب الله له ثواب عمله ، وأجزل له العطاء ، وإن أراد به السمعة والرياء ، فقد حبط عمله ، وكتب عليه وزره ، كما يقول الله عز وجل في محكم كتابه: {فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحداً}. وبذلك يتبين أنه يجب على الإنسان العاقل أن يجعل همّه الآخرةَ في الأمور كلها ، ويتعهّد قلبه ويحذر من الرياء أو الشرك الأصغر ، يقول النبي صلى الله عليه وسلم مشيراً إلى ذلك: (من كانت الدنيا همّه ، فرّق الله عليه أمره ، وجعل فقره بين عينيه ، ولم يأته من الدنيا إلا ما كُتب له ، ومن كانت الآخرة نيّته ، جمع الله له أمره ، وجعل غناه في قلبه ، وأتته الدنيا وهي راغمة). رواه ابن ماجة. ومن عظيم أمر النيّة أنه قد يبلغ العبد منازل الأبرار ، ويكتب له ثواب أعمال عظيمة لم يعملها، وذلك بالنيّة ، كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لما رجع من غزوة تبوك: (إن بالمدينة أقواماً ما سرتم

مسيراً ، ولا قطعتم وادياً ، إلا كانوا معكم ، قالوا يا رسول الله: وهم بالمدينة؟ قال: وهم بالمدينة ، حبسهم العذر) رواه البخاري. ولما كان قبول الأعمال مرتبطاً بقضية الإخلاص ، ساق النبي صلى الله عليه وسلم مثلاً ليوضح الصورة أكثر ، فقال: (فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها ، أو امرأة ينكحها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه) ، وأصل الهجرة: الانتقال من دار الكفر إلى دار الإسلام ، أو من دار المعصية إلى دار الصلاح ، وهذه الهجرة لا تنقطع أبداً ما بقيت التوبة ؛ فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها). رواه الإمام أحمد في مسنده وأبو داود والنسائي في السنن ، وقد يستشكل البعض ما ورد في الحديث السابق ؛ حيث يظنّ أن هناك تعارضاً بين هذا الحديث وقوله صلى الله عليه وسلم: (لا هجرة بعد الفتح) كما في "الصحيحين" ، والجواب عن ذلك: أن المراد بالهجرة في الحديث الأخير معنىً مخصوص ؛ وهو: انقطاع الهجرة من مكة ، فقد أصبحت دار الإسلام ، فلا هجرة منها. على أن إطلاق الهجرة في الشرع يراد به أحد أمور ثلاثة: هجر المكان ، وهجر العمل ، وهجر العامل ، أما هجر المكان: فهو الانتقال من دار الكفر إلى دار الإيمان ، وأما هجر العمل: فمعناه أن يهجر المسلم كل أنواع الشرك والمعاصي ، كما جاء في الحديث النبوي: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه) متفق عليه ، والمقصود من هجر العامل: هجران أهل البدع والمعاصي ، وذلك مشروط بأن تتحقق المصلحة من هجرهم ، فيتركوا ما كانوا عليه من الذنوب والمعاصي ، أما إن كان الهجر لا ينفع ، ولم تتحقق المصلحة المرجوّة منه ، فإنه يكون محرماً. ومما يُلاحظ في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قد خصّ المرأة بالذكر من بين متاع الدنيا في قوله: (أو امرأة ينكحها) ، بالرغم من أنها داخلة في عموم الدنيا ؛ وذلك زيادة في التحذير من فتنة النساء ؛ لأن الافتتان بهنّ أشد ، مِصداقاً للحديث النبوي: (ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء) متفق عليه ، وفي قوله: (فهجرته إلى ما هاجر إليه) ، لم يذكر ما أراده من الدنيا أو المرأة ، وعبّر عنه بالضمير في قوله: (ما هاجر إليه) ، وذلك تحقيراً لما أراده من أمر الدنيا واستهانةً به واستصغاراً لشأنه ، حيث لم يذكره بلفظه).هـ. ألا وإن الهجرة والاغتراب تعقبهما فتنة عارمة ، تضغط على أعصاب المغترب أو تغريه ليقدّم التنازلات تلو التنازلات! والفتنة مصطلح قرآني ونبوي له دلالاته وأدلته! قال الإمام ابن كثير في التعليق على آية العنكبوت ما نصه: (وقوله: (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) استفهام إنكار ، ومعناه: أن الله سبحانه وتعالى لا بد أن يبتلي عباده المؤمنين بحسب ما عندهم من الإيمان ، كما جاء في الحديث الصحيح: "أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ، ثم الأمثل فالأمثل ، يُبتلى الرجل على حسب دينه ، فإن كان في دينه صلابة زيد في البلاء". وهذه الآية كقوله: (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولمّا يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) ، ومثلها في سورة "براءة" وقال في البقرة: (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب).هـ. وأما آية سورة التوبة التي أشار إليها ابن كثير – رحمه الله فنصها: (أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ اللَّهِ وَلاَ رَسُولِهِ وَلاَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ). ويعلق الإمام القرطبي على آية العنكبوت بقوله: (أحسب استفهام أريد به التقرير والتوبيخ ومعناه الظن أن يتركوا في موضع نصب بـ (حسب) وهي وصلتها مقام المفعولين على قول

سيبويه. و(أن) الثانية من (أن يقولوا) في موضع نصب على إحدى جهتين بمعنى: لأن يقولوا أو: بأن يقولوا ، أو: على أن يقولوا. والجهة الأخرى أن يكون على التكرير ؛ والتقدير الم أحسب الناس أن يتركوا أحسبوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون قال ابن عباس وغيره: يريد بالناس قوماً من المؤمنين كانوا بمكة ، وكان الكفار من قريش يؤذونهم ويعذبونهم على الإسلام ؛ كسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد وعمار بن ياسر وياسر أبوه وسُمية أمه وعدة من بني مخزوم وغيرهم ، فكانت صدورهم تضيق لذلك ، وربما استنكر أن يمكن الله الكفار من المؤمنين ؛ قال مجاهد وغيره: فنزلت هذه الآية مسلية ومعلمة أن هذه هي سيرة الله في عباده اختبارا للمؤمنين وفتنة. قال ابن عطية: وهذه الآية وإن كانت نزلت بهذا السبب أو ما في معناه من الأقوال ، فهي باقية في أمة محمدٍ صلى الله عليه وسلم ، موجودٌ حكمُها بقية الدهر ، وذلك أن الفتنة من الله تعالى باقية في ثغور المسلمين بالأسر ونكاية العدو وغير ذلك. وإذا اعتبر أيضاً كل موضع ففيه ذلك بالأمراض وأنواع المحن ، ولكن التي تشبه نازلة المسلمين مع قريش هي ما ذكرناه من أمر العدو في كل ثغر. قلت: ما أحسن ما قاله ، ولقد صدق فيما قال رضي الله عنه. وقال مقاتل: نزلت في مهجع مولى عمر بن الخطاب كان أول قتيل من المسلمين يوم بدر ؛ رماه عامر بن الحضرمي بسهم فقتله ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ: سيد الشهداء مهجع وهو أول من يدعى إلى باب الجنة من هذه الأمة ، فجزع عليه أبواه وامرأته فنزلت: (ألم أحسب الناس أن يتركوا) وقال الشعبي: نزل مُفتتح هذه السورة في أناس كانوا بمكة من المسلمين ، فكتب إليهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الحديبية ، أنه لا يُقبل منكم إقرارُ الإسلام حتى تهاجروا ، فخرجوا فأتبعهم المشركون فآذوهم. فنزلت فيهم هذه الآية: (ألم أحسب الناس أن يتركوا) فكتبوا إليهم نزلت فيكم آية كذا فقالوا: نخرج وإن اتبعنا أحد قاتلناه ؛ فاتبعهم المشركون فقاتلوهم ، فمنهم من قتل ومنهم من نجا فنزل فيهم: (ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا). وهم لا يفتنون يمتحنون ؛ أي أظن الذين جزعوا من أذى المشركين أن يقنع منهم أن يقولوا إنا مؤمنون ولا يمتحنون في إيمانهم وأنفسهم وأموالهم بما يتبين به حقيقة إيمانهم).هـ. وليس يدرك قيمة هذا الكلام المرتزقة الذين لا ينظرون فتنة الغربة ليقدموا تنازلاتهمُ الجمة ، بل يُبادرون – أخزاهمُ الله تعالى – بالتنازلات من أجل الدنيا! فما الفتنة؟ ولماذا كان للغربة فتنة عارمة؟ والجواب نجده عند الأستاذ الفاضل محمد المنجد حيث إن له تعريفاً عجيباً غريبا وجامعا مانعاً للفتنة: يقول ما نصه: (أولاً: الفتنة في اللغة:- قال الأزهري: جماع معنى الفتنة في كلام العرب: الابتلاء ، والامتحان وأصلها مأخوذ من قولك: فتنتُ الفضة والذهب ، أذبتهما بالنار ليتميز الردي من الجيد ، ومن هذا قول الله عز وجل: "يوم هم على النار يفتنون" أي يحرقون بالنار. (تهذيب اللغة 14 / 296). وقال ابن فارس: "الفاء والتاء والنون أصل صحيح يدل على الابتلاء والاختبار" (مقاييس اللغة 4 / 472). فهذا هو الأصل في معنى الفتنة في اللغة. وقال ابن الأثير: الفتنة: الامتحان والاختبار...وقد كثر استعمالها فيما أخرجه الاختبار من المكروه ، ثم كثر حتى استعمل بمعنى الإثم والكفر والقتال والإحراق والإزالة والصرف عن الشيء. (النهاية 3 / 410). وبنحو من هذا قال ابن حجر في الفتح (13 /3). وقد لخص ابن الأعرابي معاني الفتنة بقوله: "الفتنة الاختبار ، والفتنة: المحنة ، والفتنة: المال ، والفتنة: الأولاد ، والفتنة: الكفر، والفتنة: اختلاف الناس بالآراء ، والفتنة: الإحراق بالنار". (لسان العرب لابن منظور). ثانياً: معاني الفتنة في الكتاب والسنة: 1- الابتلاء والاختبار: كما في قوله تعالى: (أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا

آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ) العنكبوت/2 أي وهم لا يبتلون كما في ابن جرير. 2- الصد عن السبيل والرد: كما في قوله تعالى: (وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ) قال القرطبي: معناه: يصدوك ويردوك. 3- العذاب: كما في قوله تعالى: (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) ، فتنوا: أي عذبوا. 4- الشرك ، والكفر: كما في قوله تعالى: (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ) ، قال ابن كثير: أي شرك. 5- الوقوع في المعاصي والنفاق: كما في قوله تعالى في حق المنافقين: (وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِي) ، قال الإمام البغوي: أي أوقعتموها في النفاق وأهلكتموها باستعمال المعاصي والشهوات. 6- اشتباه الحق بالباطل: كما في قوله تعالى: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ) فالمعنى: "إلا يوالى المؤمن من دون الكافر ، وإن كان ذا رحم به (تكن فتنة في الأرض) أي شبهة في الحق والباطل." كذا في جامع البيان لابن جرير. 7- الإضلال: كما في قوله تعالى: (ومن يرد الله فتنته) ، فإن معنى الفتنة هنا الإضلال. البحر المحيط لأبي حيان (4 / 262). 8- القتل والأسر: ومنه قوله تعالى: (إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا). والمراد: حمل الكفار على المؤمنين وهم في صلاتهم ساجدون حتى يقتلوهم أو يأسروهم. كما عند ابن جرير. 9- اختلاف الناس وعدم اجتماع قلوبهم: كما في قوله تعالى: (ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة) أي يوقعوا الخلاف بينكم! كما في الكشاف. 10 - الجنون: كما في قوله تعالى: (بأيِّكم المَفتون). فالمَفتون بمعنى المجنون. 11- الإحراق بالنار: لقوله تعالى: (إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات). قال ابن حجر: ويعرف المراد حيثما ورد بالسياق والقرائن. الفتح (11 / 176). وقال ابن القيم رحمه الله: "وأما الفتنة التي يضيفها الله سبحانه إلى نفسه أو يضيفها رسوله إليه كقوله: (وكذلك فتنا بعضهم ببعض) وقول موسى: (إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء) فتلك بمعنى آخر وهي بمعنى الامتحان والاختبار والابتلاء من الله لعباده بالخير والشر بالنعم والمصائب ، فهذه لون وفتنة المشركين لون ، وفتنة المؤمن في ماله وولده وجاره لون آخر ، والفتنة التي يوقعها بين أهل الإسلام كالفتنة التي أوقعها بين أصحاب علي ومعاوية وبين أهل الجمل ، وبين المسلمين حتى يتقاتلوا و يتهاجروا لون آخر. زاد المعاد ج: 3 ص: 170).هـ. وأختم تقديمي للقصيدة بإيضاح الفرق بين فتنة الشبهات وفتنة الشهوات! وتحت عنوان: (تعريف الفتنة وأنواعها) تقول الأستاذة الأديبة دعاء دار خليل ما نصه بتصرفٍ يسير: (الفتنة في اللغة ؛ هي مصدر فَتَنَ وجمعها فتنات وفِتَنْ ، قيل إنَّ الفتنة هي الاختبار بالنار ، ومن معانيها أيضاً الابتلاء ، نقول فتنة الدنيا أي ابتلاء الدنيا ، والفتنتان هما: المالُ والولد ، والفُتنة بضم الفاء تعني نوع من أنواع شجر السَّنط وزهره أصفر اللون. وتُعَرَّفُ الفتنة في الاصطلاح: أنَّها ما يُبين فيها حال الإنسان وطبيعته من خير وشر ، وقيل إنَّها البليةُ أي هي المعاملة التي تُظهر ما في باطن الأمور ، وقيل إنَّها الامتحان أو الاختبار الذي يُذهِب العقل والمال أو الذي يقوم بإضلال الحق. وفي القرآن الكريم ذكر الله – تعالى - كلمة الفتنة وبيَّن معانيها ، ومن ذلك ما يأتي: قال – تعالى -: (أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ) ، جاءت في الآية الكريمة بمعنى الابتلاء والاختبار في الدنيا. قال – تعالى -: (وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ) ، أي احذر أيها الإنسان من أن يصدّوك ويردوك عن سبيل وطريق ما أنزل الله – تعالى -. قال – تعالى -: (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) ، المقصود بمعنى الفتنة في الآية الكريمة هو العذاب.

قال – تعالى -: (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ) ، أي الكفر والشرك. قال – تعالى -: (وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِي) ، جاء معنى قوله –تعالى -: (فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ) ، أي أهلكتموها في المعاصي ، وأوقعتم بها في النفاق. قال – تعالى -: (إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات) ، أي الذين أحرقوا المؤمنين والمؤمنات بالنار. قال –تعالى -: (وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا) ، جاءت الفتنة هنا بمعنى القتال. قال – تعالى -: (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) ،جاءت الفتنة هنا بمعنى القتل. أنواع الفتن الفتنة نوعان ، قد يجتمعان كلاهما في العبد أو يكون فيه نوعًا واحدًا فقط ، وهما كما يأتي: فتنة الشبهات يكون سببها ضعف في البصيرة وقلة في العلم ، خصوصًا إذا ارتبط ذلك بفساد المقصد وحصول الهوى في الإنسان ، وهذه الفتنة نهاية طريقها إلى الكفر والنفاق وهي مخصصة لأهل المنافقين وأهل البدع ، وذلك على حسب مراتب بدعة ، ويكون سبب نشأة هذه الفتنة في الإنسان من الفهم الفاسد تارة ، ومن النقل الكاذب وغير الصحيح تارة أخرى. ومن أسباب نشأتها في نفس الإنسان يكون بغرض فاسد وهوىً قد اتبعه صاحبها ووصل إلى طريق الفتنة ، فهي عمى في البصيرة وفساد في الإرادة ، والسبيل الوحيد للنجاة من هذه الفتنة هو اتباع أوامر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأن تكون في كل أمور الدين سواء أكانت ظاهرة أو باطنة. فتنة الشهوات جمع الله ـ سبحانه وتعالى ـ الفتنتين في قوله: (كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتم كَالَّذِي خَاضُوا أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) ، والمقصود بهذه الآية هو تمتع الإنسان بنصيبه بالدنيا وما كان فيها من ملذات وشهوات. ومعنى الخلاق هو النصيب المقدر من الله – تعالى ـ ، ثم قال ـ سبحانه وتعالى -: (وَخُضْتم كَالَّذِي خَاضُوا) ، فهنا المقصود بالخوض هو الخوض بالباطل وهو الشبهات ، فقد وضَّح الله – تعالى ـ في هذه الآية ما يحصل لقلب الإنسان من فساد والاستمتاع بالخلاق ، والخوض بالباطل).هـ. وعود للحديث عن غريب قصيدتنا الذي فتنته الغربة وانتصر عليها رغم إغراءاتها المتعددة! والحقيقة أنني تناولت الغربة في قصائد متعددة ، وأفردتُ لها مجموعاتٍ شعرية كذلك! وحاولتُ تصوير آلام الغربة وعذاباتها وأشواقها ودروسها! ولكن وجه اختلاف هذه القصيدة عن سابقاتها هو أنني أبارك لأحد الغرباء الأبطال الأفذاذ من طلبة العلم ، وكان قد هاجر وتغرب ، ولم يتنازل في غربته عن ثوابته ومبادئه وتوحيده وعقيدته أبداً! ثم عاد إلى بلاده بكل ما كان يحمل من توحيد وعقيدة ومبادئ وقيم! ولم يفرط في شيء من هذا كما يفعل غيره من الذين فتنتهمُ الغربة ، وكان بريق فتنتها في أعينهم أشدَ من بريق مبادئهم الخاوية وثوابتهمُ الهشة! حيث شاهدناهم غير مرة يُضحون بكل ما يملكون من عقيدةٍ أو عرض أو كرامة أو شرف ، من أجل عرض من الدنيا قليل! ولكنني أعجبتُ بهذا الغريب الثابت القوي أمام إغراءات الغربة وضغوطها! إن مأساة غريب قصيدتا أنه عانى الأمرين في غربته من ضغوطها وفتنتها وعذاباتها ، في الوقت الذي عامله أهلوه ورفقاء دربه معاملة الميت! وأكاد أجزم أن الميت يترحم عليه أهله وأصحابه ، ويزورونه في قبره! لكن هؤلاء ما فعلوه مع هذا الغريب ما ينبغي فعله للميت! لقد توارثوه حياً والعياذ بالله! فلا أثر للدار التي بناها في دياره قبل رحيله! ولا أثر للمتاع ولا للأثاث ولا للمقتنيات الشخصية! وكأنها هجمة تترية لا تُبقي ولا تذر! فهل كانت هذه الدار بما حوت إلا أمانة عندهم ريثما يعود الغريب؟! إنه لعسيرٌ على الغريب أن يواجه فتنة غربته في الداخل

والخارج! فبعيداً عن دياره يُعاني فتنة الغربة للتنازل عن ثوابته ومعتقده! وفي دياره يُعاني السلب والنفي! وعند الله تعالى تجتمع الخصوم! ومن هنا استحق هذا الغريب أن أحييه وأشيد به وأبارك له ثباته في وجه التحديات خارج دياره أمام فتنة الغربة ، وثباته وهو يرى سلب مُمتلكاته ومُقتنياته ، ويُقابلُ ذلك كله بصبر وثباتٍ وعزيمة!)

خصصتُك بالمديح العَذبِ أنتا ... لأنك – في اغترابك – ما فتنتا

لأنك لم تبعْ ديناً بدنيا ... ولا أخراك – يا مِغوار - بعتا

ولا آثرت ما يَفنى فتردى ... وما أكثرت – عند الضيق - ليتا

على الأقدار لم تسخط بتاتاً ... معاذ الله ، بل كنت ارتضيتا

وضاقتْ عِيشة ، فصبرت ترجو ... مِن الرحمن أخرى إذ دعوتا

وحاولت الخلاصَ تُريدُ حَلاً ... وأعواناً – على البلوى - التمستا

وقررت الرحيلَ إلى ديار ... تُعاينُ خيرَها إمّا ارتحلتا

ورب الناس يَسّرَ كل صعب ... وبلغك السبيلَ إذِ انتويتا

ولم يَملأ فراغك عبقريٌ ... يقول الحق بعدك ، مذ مضيتا

وعانت صُحبة وَليت عنها ... وأنت تُريدُ رُؤية مَن صَحِبتا

وهاجَ الشوقُ ، لكنْ دون جدوى ... وجابهت الصِعابَ بما تأتّى

فبيتُك حازهُ قومٌ رِعاعٌ ... فقد غصَبوا مَتاعَك والبُيَيْتا

وما احترموا أمانة مَن تولى ... حلالٌ - للأصاغر - ما ملكتا!

ولاكُوا عِرضك الميمونَ عمداً ... وقتّوا عنك ما قالوهُ قتّا

وقالوا: نحن أحسنا إليهِ ... وقالوا: نحن زوّجناه بنتا

وقالوا: نحن لولانا لقاسى ... مِن الدنيا المصائبَ جد شتى

وقالوا: نحن زللنا صِعاباً ... ودَاومنا - على كتفِيه - رَبْتا

وأنت تحارُ في كذب صُراح ... وتؤثِرُ أن يكون الرد صَمتا

إذا الكذابُ بالغ في التجني ... وتسأله متى تخزى وحتى

ولـــم يُقّصِـــرْ عـــن الـــدعوى اســـتغاثتْ ... وأنـــت لمـــا يقـــول أشـــدُ مقتـــا

فقطعـــاً لـــن تـــدوم لـــه الأحـــاجي ... ويومـــاً يُبْهـــتُ الخـــداعُ بَهتـــا

وضـــاقتْ غربـــة بلغـــتْ مـــداها ... وأنـــت ـ بهـــا وبالأوضـــاع ـ ضِـــقتا

وواجهـــت الأنـــامَ بمـــا لـــديهم ... مِـــن العثـــرات أنـــت لهـــا انتبهتـــا

وأرشـــدت الجميـــعَ إلـــى هُـــداهم ... دعـــوت ليخلعـــوا وُثْنـــاً وجبتـــا

فمـــا اتبعـــوا ، ولا انصـــاعوا لـــذكرى ... كأنـــك – للفضـــائل ـ مـــا هَـــديتا

وبعـــضٌ مـــنهمُ نكِـــرَ الوصـــايا ... وأخـــرسَ – للغريـــب الشـــهم ـ صـــوتا

لـــذا اســـتعدى الأعـــاديَ لـــم يُبـــالوا ... بحـــق فـــي البقـــاع الجُـــرْدِ قلتـــا

غريـــبٌ أنـــت عـــن أهـــل ودار ... فجُـــل القـــوم قـــد لفظـــوك أنتـــا

وتبحـــثُ فـــي اغترابـــك عـــن صـــديق ... يـــردك للصـــواب إذا ضـــللتا

ويمنحُـــك العزيمـــة لا تُبـــارى ... ويُخـــرجُ منـــك تضـــييقاً وكبتـــا

ويُلهمـــك الثبـــات إذا توالـــتْ ... عليـــك نوائـــبُ الـــدنيا فتُهتـــا

يُعينـــك إن ركنـــت إلـــى التـــدني ... وينصـــحُ أن ضـــياعُك إنْ ركنتـــا

يُشـــاركُك التمسّـــك بالمعـــالي ... إذا أنـــت الأفاضـــلَ قـــد عـــدِمتا

غريـــبٌ أنـــت غربتُـــك اســـتبدتْ ... بـــرأي فيـــك أنـــت بـــهِ عُرفتـــا

فجـــاءتْ تحتويـــك لهـــا احتـــرازٌ ... وتطلـــبُ منـــك أمـــراً قـــد أبيتـــا

تُريـــدُك أن تُطـــوّعَ نـــص شـــرع ... لتـــربح مـــا تُريـــد إذا افتريتـــا

تُريـــد لـــك ارتزاقـــاً بالســـجايا ... لتُغـــدِق خيرَهـــا إمّـــا ارتزقتـــا

ألســـت تُريـــدُ أمـــوالاً وقوتـــاً ... لتـــدرك مـــا تريـــد إذا اغتنيتـــا؟

فقلـــت لهـــا وفـــي القلـــب احتســـابٌ ... حـــديثكِ قـــد غـــدا عَجْنـــاً ولتـــا

ألا إن افتتـــاني لـــيس ســـهلاً ... أمـــوتُ ولا يُقـــال لـــي: افتُتِنتـــا!

ألا يـــا ذا الغريـــبُ لـــك احترامـــي ... لأنـــك – فـــي الـــدغاول ـ قـــد ثبتّـــا

ولـــم تـــكُ مثـــل أصـــحاب الترائـــي أضـــلُ طريقـــة ، وأضـــلُ سَـــمتا

يبيعـــــون الديانـــــة بـــــارتزاق وعـــنهم يـــا أخـــا التقـــوى اختلفتـــا

ومـــنهم قـــد رُئيـــت أجـــلَ شـــأناً فأنـــت بنصـــر دينـــك قـــد ظفِرْتـــا

لـــئن هـــم عمّـــروا الـــدنيا بمـــال فأنـــت بجنـــة الـــرحمن فزتـــا

لـــئن ســـعِدوا بألقـــاب وصِـــيتٍ فإنـــك – بـــاعتزازك – قـــد ســـعدتا

لـــئن رضـــخوا لغـــربتهم ، وضـــلوا فأنـــت لهـــا شـــمخت ، ومـــا رضـــختا

وغـــربتهم بهـــم فخـــرتْ وشـــادتْ وغربتُـــك اصـــطلت قهـــراً وكبتـــا

عبيـــدٌ هـــم لغـــربتهم لئـــامٌ وأنـــت غضـــنفرٌ فـــيهم ظهرتـــا

تهـــونُ حياتُنـــا ، والـــدينُ يبقـــى وكيـــف تعـــيشُ إن دينـــاً خســـرتا؟!

فهرست القصائد & مسرد موسيقي – (الغربة سلبيات وإيجابيات!)

مسلسل	عنوان القصيدة	البحر	القافية	الصفحة
1	أشواق الغربة	الخفيف	إيابي	2
2	دروس من الغربة	المتدارك	الغربة	4
3	عذابات الغربة	الرمل	المصيرِ	6
4	فوائد الغربة	الوافر	الرزايا	8
5	من سلبيات الغربة	المتقارب	لم أغتربْ	10
6	وطني أحلى من الغربة	المتقارب	مثار العجبْ	12
7	فتنة الغربة	الوافر	ما فتِنتا	13

تم بحمد الله وتوفيقه وعنايته ورعايته إتمام (الغربة سلبيات وإيجابيات!)